مؤرخون شرقيون آخرون بأن الرواية التقليدية ليست دقيقة في تقديرها لإنجازات الرسول في الجزيرة العربية. فعبد العزيز الدوري، مثلاً، يعترف بأن بعض القبائل انحازت إلى المدينة سياسياً، في حين اعتبر البعض الزكاة إذلالاً وخضع لسلطة المدينة على كره، وآخرون لم ينحازوا إلى المدينة، لاسياسياً ولادينياً[٥]. ومنظور الدوري هذا يتبناه مؤرخ عربي آخر لفجر الإسلام، هو عبد المنعم ماجد[٦].

وبالنسبة إلى مدى سيطرة محمد في الجزيرة العربية، فإن منظور الأستاذ مونتغمري وات، مؤلف الكتاب الأوسع والأحدث عن حياة الرسول، يكتسب أهمية خاصة، لأنه نتاج مقاربة تتقبل رواية المصادر ولكن بتقويم حصيف. وبكلمات وات، كانت إنجازات النبي محمد كالتالي:

"أخيراً، علينا طرح السؤال مامدى تحالف القبائل، على الأقل سياسياً، مع محمد. فتلك التي كانت في جوار المدينة ومكة توحدت معه بشكل راسخ. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الوسط وعلى طول الطريق إلى العراق، إلا أنه كانت هناك استثناءات. في اليمن وبقية جنوب غرب الجزيرة كانت هناك مجموعات عديدة متحالفة معه، ولكنها لاتزيد على نصف السكان بأي حال. وفي الجنوب الشرقي كانت النسبة ربما اقلّ .وعلى طول الطريق إلى سوريا تحقق القليل من النجاح في فصل القبائل عن الامبراطور البيزنطي.

"وهكذا لم ينجح محمد بشكل عام في توحيد الجزيرة، ولكنه فعل كثر مما يقرُّ به المتشككون من الأساتذة الأوروبيين. وفوق